

رأي حُر في فتنة سوريا وغيرها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أكثر الآراء مقيّدة بالتقليد، وبالنقل عن وسائل الإعلام الفاسقة، وبالعاطفة (أي الهوى) مع فئة أو ضد فئة، ويجمع الثلاثة البعد عن التثبت الذي أمر الله به كل مؤمن:

إِيَّا هَٰذَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ {المحجرات: 6}.

وفي قراءة مشهورة: {فتثبتوا}، ويجمع الثلاثة غياب العدل الذي أمر الله به المؤمنين في معاملة أعدائهم الذين صدوهم عن المسجد الحرام: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا فِي قَوْمٍ أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا} {المائدة: 2}، {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا فِي قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا وَعَدْلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} {المائدة: 8}، ولأن الله هي ألي ما لم يهيئه للأكثرين؛ فأقامت في بلاد الشام أكثر من عشرين سنة في خدمة الدعوة على منهاج النبوة التي تبثها دولة التوحيد والسنة في أنحاء المعمورة، وما يتبع ذلك من تقديم الغذاء والكساء والكتب الدينية المطبوعة محلياً، أو المقدم عيذات منها لمدير مكتب الحدود، وبناء المساجد ونحو ذلك. ومع أني ابتليت بما لم يبتل به الأكثرون من المضايقات الأمنية، فلا أختار لنفسي إلا ما اختاره الله لي من قول الحق والعدل ولو خالفه الأكثرون:

أ- سبق هذه الفتنة أخرى قبل (30) سنة، لو نعتبر:

- 1- بدأت الفتنة بمظاهرة في حماة احتجاجاً على حذف ثلاث كلمات تُقرر أن: (الإسلام دين الدولة) من الدستور الجديد. وقد وُفق الشيخ مُنا إسماعيل رحمه الله (شيخ حمدي السلفي وفقه الله) في إيجاز القصة بقوله: (أخطأ المتظاهرون لتمسُّكهم بهذه الجملة لأنهم يعلمون أن الإسلام لم يكن دين الدولة منذ الحكم العثماني، وبخاصة في الاعتقاد أعظم أمور دين الإسلام، وأخطأت الدولة لحذفها ثلاث كلمات كان الأولى إثباتها درءاً للفتنة).
- 2- وفرق رجال الأمن المظاهرة كالعادة، وكالعادة رد المتظاهرون بالعنف فحاولوا تفجير مركز للجيش في الأزبكية من دمشق، ولعله أول تفجير انتحاري، ولما وجد سائق سيارة المتفجرات عوائق اسمنتية تحول بينه وبين الدخول بسيارته إلى المركز اضطرب وفر تاركاً السيارة تنفجر في الشارع فقتل عشرات من المارة.
- 3- وتطور المتظاهر إلى عصيان مسلح، وكانت الغلبة لسلاح الدولة، فهرب قادة العصيان إلى البعث العراقي، وانتهت أحلام الميقتة بعد أن سمي وزراء الدولة الجديدة التي ماتت قبل أن تولد، ولعل الله اختار الخير فإن أخطأها محسوبة ظلم على الدين، أما الدولة الحاكمة فأخطأها محسوبة على العروبة والاشتراكية، ولن يقبل منها صرف ولما عدل، ولم تتأثر منهاج التعليم الدينية بالعروبة ولما بالاشتراكية، بل إن مقرر العقيدة في المعاهد الحكومية الدينية الذي أُلِف في عهد حافظ الأسد خير من مقررات العقيدة في جميع المدارس الدينية الخاصة، ومن بينها مدارس حزب الإخوان المبتدع، وخير من المقرر في معهد أبو النور لمشيخة الطريقة النقشبندية من تأليف عبد المجيد الزنداني تجاوز الله عنه. وقد أُلِف المقرر الحكومي: الباغ والخن وقلعجي، وخيرهم: علي الشوربجي.

- 4- تراوحت الاحصائيات عن عدد القتلى في حماة نتيجة لهذه الفتنة بين (20000) كما ذكرت مجلة المجتمع الإخوانية في الكويت و(30000) كما ذكر أمين الندوة العالمية للشباب الإسلامي الإخوانية في الرياض و(70000) كما ذكر الشيخ محمود الاستنبولي من سوريا رحمه الله. ثم ظهر تقرير تحالف الثوار (إخوان وقوميين عرب وبعثيين عراقيين وسائر الخارجين على الدولة على اختلاف انتماءاتهم بين إسلامي وعلمائي) بعنوان: (حماة مأساة العصر) فعدوا نحو (3000). ومع أن أقل تقدير باسم الثوار: فلا يزالون هم وغيرهم يكيلون بالألوف

وعشرات الألوذ، ولما ذكر للأرقام بين (1) و(999) فهي لا تصلح للإثارة ولما لجمع المتبرعات، أما آيات التثبيت والعدل والموازن بالمسطاس المستقيم فالغالب أنها تُقرأ للحفاظ على التديب ولما للعمل، نستغفر الله ونعوذ به من أن نُظلم أو نَظلم.

5- وانتشرت الشائعات بمنع اللحي والحجاب ومحو (حماة) من وجه الأرض؛ فذهبت فور توقيف القتال، وشاء الله أن يكون جاري في الصلاة ضابطاً مُلتح، وعرفت لأول مرة أن الجيش السوري لا يمنع الالتحاء بين أفرادها خلافاً لكثير من الدول العربية والمسلمة، ولم أر حجاباً (بعد السعودية) أكثر منه في سوريا، وزرت حماة مع بعض إخواني في الدين والنسب أكثر من مرة، وفي إحدى المرات اصطحبنا سورياً وعُدَّ بإطْلَاعنا على الدمار؛ فلم نره في بيت واحد، ولم يزل أمين الندوة العالمية الإخوانية حتى مات رحمه الله يؤكد محو (حماة) من وجه الأرض، بل ردد هذه الشائعة قبل أشهر كبير القضاة (في بلد مسلم)، مع أنه لم يُبتل باتباع المناهج الحركية الحزبية المبتدعة، ولكنه لم يسلم من اتباع دعاياتها المضلة، وردد كبير القضاة فرية قتل عشرات الألوذ، والمحقيقة أن المأذُن قد تحل محل العقل في هذا العصر إما لمن رحمه الله؛ فكيف إذا حلت محل الخُلُق الشرعي؟!

ب- وجاءت الفتنة المحاضرة، ورأيت فيها أنها:

1- بدأت تقليداً للفتن المتتالية التي كانت شرارتها الأولى إحراق تونسي نفسه سخطاً على تقدير الله رزقه، عاضاً الله مما ابتلاه به، واغتنمها الحزبيون والحركيون الغوغائيون في عدد من بلاد العرب مخالفة لشرع الله وإفساداً في الأرض. فشرع الله ينهي عن المنازعة من ولادة الله الأمر إما أهل المحل والعقد إذا رأوا كضراً بواجب معهم عليه من الله برهان: آية محكمة أو حديث صحيح بفهم فقهاء الأمة في القرون الخيرة، وقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء: 59]، والفساد في الأرض يلازم المظاهرات والاعتصامات والثورات والاضرابات منذ بدايتها حتى نهايتها، ينقص الأمن والأمنفس والمعاش، والخدمات التي توفرها الدولة غالباً مهما كان حالها.

2- في الفتنة الأولى بقي النزاع بين الراعي وعدد من أفراد رعيتيه، وقام الراعي بما يمليه العقل ويقره المشرع: مقاومة الفتنة إلى حد قتل المباغي أو سجنه أو تعزيره، وقال الله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُجَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) [المائدة: 33]، ولأن السلفيين يحكمون ما أنزل الله فلم يخرجوا ولم يفسدوا ولم يقتلوا، وعلى هذا لم يقتل منهم أحد ولم يسجن منهم إلا الشيخ محمد عيد العباسي، ووكد لي بعد خروجه من السجن أنه خرج عن منهاج السنة فأعطى قريباً له مالاً طبع به ديوان لمروان حديد من حزب الإخوان؛ لا يأمر بمعروف ولما ينهي عن منكر، بل يثير الفتنة بين الراعي والرعية كعادة الحزب المفسد، وفهمت منه أنه اشترى ببعض المال سلاح لقتال ولادة الأمر.

وفي الفتنة الأخيرة شاركت الأمم المتحدة وأمريكا وأوروبا وغيرها في الفساد بحجة أن الراعي يقتل رعيته، وفق مبالغات وسائل الإعلام وتقارير الثوار، وبحجة رفع المظلم عن المظالمين فيما يسمى: التشريعية الدولية؛ أما شريعة الله في آية الحرابة وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه" رواه مسلم؛ فبقي في الكتاب والسنة إلى أن تكون معنا.

ج- يحتج المنتمون إلى السنة بأن رأس الدولة ينتمي إلى طائفة قال عنها ابن تيمية رحمه الله: أكفر من اليهود والنصارى:

1- هل يجوز تحكيم كلام ابن تيمية رحمه الله عن أمة خلت قبل عصره على مَعِينٍ بعد موته بسبع مئة سنة؟!

2- وهل كان المنتمون إلى السنة (منذ عصره إلى يومنا هذا) من أهل السنة حقاً (غير النادر)، وقد نفوه وسجنوه حتى مات رحمه الله لجهره بالتوحيد والسنة، والأكثرون يقترفون أو يقرون الشرك والمابتداع!

واليوم (في كل بلاد الشام المباركة المقدسة): أكثر أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة والأنصاب والأشجار المعتقد فيها والمذعور من سُميت باسمه هي خاصة بالمنتمين للسنة أو مشتركة بينهم وبين اليهود والنصارى (كما في المسجد الإبراهيمي بالخليل من أرض فلسطين: (4) لليهود والنصارى، و(7) للمنتمين للسنة)، ودعاء غير الله أسوأ ما يُمَيِّز الطوائف الأخرى، ويجتمع المنتمين للسنة مع المنتمين للشيعة على وثن باسم السيدة زينب، وسمعت بأذني مرة رئيس مؤسسة دينية يطلب من آخر ذبح خروف عند السيدة زينب كفارة ظلمه له! ويجتمع المنتمون للسنة مع النصارى على تقديس ثلاثة أوثان باسم الخضر، جُهد أحدها بمذبح للقرايين في بلد واحد، ومع غيرهم أو منفردين على آلاف الأوثان في مختلف بلاد العرب والمسلمين عدا السعودية وبعض دول الخليج. وأشهد أن الذبح لوثن باسم خالد بن الوليد في حمص لم يتوقف إلا منذ عشرين سنة، أوقفه وزير للأوقاف في دولة البعث، وأوقف معه الصلاة على أبي النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان في أحد مساجد المنتمين للسنة، ردهم الله إلى دينه الحق، وهذا لا يعني بالضرورة توقف أصحاب القربان الوثني عن ذرهم لغير الله، ولكن الوزير رحمه الله عمل ما استطاع فأمر المسؤول عن جمعية خيرية باستادام القربان وذبحه في الجمعية باسم الله، وتقديم لحمه للمحتاجين، ومن سننه الحسنة أنه أخذ موافقة حافظ الأسد على فتح مراكز الأسد لتحفيظ القرآن في كل مسجد يرغب أهله في ذلك، وفي حالة نادرة تحول المركز إلى معهد شرعي سلفي ثم ابتلي بالمبتدعة فأفسدوه! ومن خير سننه الحسنة (في عهد حافظ الأسد) التي ميّزه الله بها هدم عدد من الأوثان في منطقة القزازين شارع بغداد من دمشق، وهذا لا نعلم أنه حدث في سوريا منذ عهد ابن تيمية رحمه الله، بل إن جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى وهو من خير السلفيين في القرون الأخيرة أبرز قبر ابن المقيم رحمه الله وزينه بالرخام، ولعله هو الذي أبرز قبر ابن تيمية رحمه الله وزينه بالرخام.

د- تجاوزات موظفي المؤسسات الأمنية قد تكون هي شرُّ ما يسيء إلى علاقة المرابي بالرعية في كل نظام (وبخاصة النظم الاشتراكية)، بل قرأت في مذكرات مسؤول أمني متقاعد في بريطانيا أن المؤسسة الأمنية وأفرادها يعيشون على الظن ولولاه لما تطورت المؤسسة وكثر موظفوها، ثم إن الأمنيين تحيط بهم هالة من السرية يأمنون في ظلها المحاسبة الدنيوية، وقليل منا من يستحضر المحاسبة والمعاقبة الأخروية، نستغفر الله.

والعرب لنا يحتاجون إلى مسوِّغٍ لمعاداة ولإهانة أمرهم، ومنازعة الأمر أهلَه؛ فقد داروا على خليفة النبي صلى الله عليه وسلم الثالث عثمان رضي الله عنه وقتلوه، وعلى الخليفة الرابع ابن عم رسول الله فقتلوه، ولو لم يوجد ذاق الثورة الفرنسية، ثم الثورات العربية منذ جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم والسُّلال والمقذافي وصدام والبعث العراقي والسوري، وثورة الخميني وهي الأقرب إليهم تؤزهم أزا، ولو لم يُحرق التونسي نفسه؛ لوجدوا قدوة أخرى.

ولقد تسور الأمنيون منزلي في سوريا الاشتراكية وفي الأردن الرأسمالية؛ عرفت ذلك من آثار أحذيتهم العسكرية، ومن أنهم لم ينقصوا المنزل شيئاً من أثاثه، غير بضعة كتب يعلم الله أنني لم أجز نشرها لما فيها من تعد على ولادة الأمر هنا أو هناك، ومع ذلك لم تأخذني العزة بالإثم بل استمر نهيي عن منازعة ولادة الأمر ولو جاروا ولو ظلموا، والظلم غالباً يتعلق بصغار الأمنيين وهم من أفراد الشعب، وقد لا يرضى به كبارهم بدليل أن حافظ الأسد نفى أخاه رفعت، ونفى ميشيل عفلق لتجاوزهما الحدود في العلاقة بين المرابي والمرعية.

وإني لأدعُ وجميع ولادة المسلمين بالهداية والتوفيق، وأدعو لعامتهم أن يطهر قلوبهم وأعمالهم ومساجدهم من الشرك والبدع والفتن والمعاصي ما ظهر منها وما بطن، ونحو ذلك مما يكمل نقص القانتين والخطباء الذين يدعون لهم بالنصر، ويحرمونهم الدعاء بالهداية وهم في أشد الحاجة إليها.

قال لي عبد الله المطوع ومانع الجهني رحمهما الله وهما ممن خدع بالدعاية الإخوانية: لمصلحة مَنْ تنفي قتل عشرات الألوف ومحو حمالة عن وجه الأرض؟ قلت: لأن حزيكم وحلفاءه لم يزيديا في دعواهم عن آحاد الآلاف، وعاديتهم المبالغة، ولأن حمالة موجودة على وجه الأرض، فلمصلحة الشرع والحق والعدل واتباعاً للآية المحكمة والحديث الصحيح، ومن رضي فله الرضى، ومن سخط وهم الأكثرون دعونا لهم بالهداية وبكلمة الحق والعدل في الغضب والرضا. (7/5/1433هـ).